مجلة دراسات الانسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
www.stcrs.com.ly
العدد 26 يوليو 2025
Volume 26 July 2025
مجلة دراسات الإنسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
HCSJ

تم الاستلام في : 2025/11/10 تم القبول في: 2025/11/25 تم النشر في : 2025/11/26

www.doi.org/10.62341/HCSJ

مفارقات الترتيب الزّمنيّ في رواية (في أرض الرّجال) لهشام مطر

إيناس البشير الطاهر مسعود

محاضر – بكلية الآداب الزاوية – جامعة الزاوية – ليبيا

e.masoud@zu.edu.ly

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى مقاربة البنية الزمنية في رواية (في بلد الرجال) للكاتب (هشام مطر) من منظور المنهج البنيوي، وتركّز على تحليل مفارقات الترتيب الزمني بوصفها أحد أبرز التقنيات السردية في الرواية الحديثة. قد عمد الكاتب (هشام مطر) إلى توظيف المفارقات الزمنية في روايته من خلال خلخلة التسلسل التقليديّ الخطّيّ للزمن، وإعادة تشكيل الزمن داخل النص؛ بطرائق تُثري المعنى ويُتيح تعدّد مستويات الدلالة، ويُعطي السرد طابعاً تأمّليّاً متشابكاً بين الوعي والذاكرة والواقع.

الكلمات المفتاحية: الزمن السردي، الزمن الواقعي، المفارقة الزمنية، الاسترجاع، الاستباق، هشام مطر.

Time paradoxes in Hisham Matar's novel "In the Country of Men"

ENAS ALBASHEER TAHER MASOUD

Faculty of Arts, Zawia / University of Zawia - Libya

e.masoud@zu.edu.ly

Abstract: This study seeks to examine the temporal structure in Hisham Matar's novel In the Country of Men through the lens of the structuralist method. It focuses on analyzing chronological paradoxes as one of the most prominent narrative techniques in modern fiction. Hisham Matar employs temporal paradoxes in his novel by disrupting the traditional linear sequence of time and reshaping temporality

Copyright © HCSJ
حقوق الطبع محفوظة
لمجلة دراسات الإنسان والمجتمع

مجلة دراسات الانسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
www.stcrs.com.ly
العدد 26 يوليو 2025
Volume 26 July 2025
مجلة دراسات الإنسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
HCSJ
تم الاستلام في : 2025/11/10 تم القبول في: 2025/11/25 تم النشر في : 2025/11/26
www.doi.org/10.62341/HCSJ

within the text in ways that enrich meaning, allow for multiple layers of interpretation, and give the narrative a contemplative character interwoven with consciousness, memory, and reality.

Keywords: Narrative time, real time, temporal paradox, flashback, foreshadowing, Hisham Matar.

تقديم:

يُعدّ الزمن أحد المكوّنات الأساسية والأعمدة المركزية في البناء السرديّ الروائيّ، ومع تطوّر السرد الحديث لم يعد الزمن وعاءً للأحداث فحسب، بل غدا أداة فنيّة ودلاليّة تُسهم في ثراء التجربة القرائية، وتعميق الإحساس بالأحداث والشخصيات.

إشكالية البحث:

تقوم رواية (في بلد الرجال) للكاتب (هشام مطر) على خلخلة الترتيب الزمنيّ الخطيّ، وكسر هيمنة التسلسل الواقعي للأحداث، وفتحت المجال أمام المفارقات الزمنية المتنوّعة للظهور على بنية النصّ؛ لتُعيد تشكيل السرد على وفق رؤية الراوي، ومقام السرد. كيف استخدم هشام مطر مفارقات الترتيب الزمنيّ في رواية في بلد الرجال؟ وما مدى إسهام هذه المفارقات في بناء عالم الرواية؟ وما أثر المفارقات التي تزخر بها الرواية في تشكيل وعي المُتلقي بوصفه شريكًا في إنتاج الدلالة؟

تساؤلات البحث:

1- ما أشكال مفارقات الترتيب الزمني التي وظّفها (هشام مطر) في روايته؟

2- ما طبيعة العلاقة القائمة بين الزمن الواقعي والزمن السردي في رواية في بلد الرجال؟

3- هل أسهمت استراتيجيات المفارقات الزمنية في توليد المعنى وإثراء دلالة النصّ؟

أهداف البحث:

1- تحليل بنية رواية في بلد الرجال من منظور المنهج البنيوي وفق تصوّرات (جيرار جينيت).

Copyright © HCSJ
حقوق الطبع محفوظة
لمجلة دراسات الإنسان والمجتمع

مجلة دراسات الانسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
www.stcrs.com.ly
العدد 26 يوليو 2025
Volume 26 July 2025
مجلة دراسات الإنسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
HCSJ
تم الاستلام في : 2025/11/10 تم القبول في: 2025/11/25 تم النشر في : 2025/11/26
www.doi.org/10.62341/HCSJ

2- استجلاء وظائف كلّ من الاسترجاع والاستباق بأنواعهم، وبيان دورهم في ثراء التجربة القرائية.

3- المساهمة في إبراز الأدب الليبي المعاصر ومقاربته بأدوات ومناهج نقدية حديثة.

أهمّية البحث:

1- الكشف عن مدى تأثير الواقع الاجتماعي والعامل السياسي في تشكّل زمن الرواية وتشظّيه.

2- يقدّم مدى ارتباط تقنيات السرد بالحالة النفسية للراوي أو الشخصيات.

3- يُثري الدراسات المهتمّة بالأدب الليبيّ عامّة وأدب (هشام مطر) خاصّة.

منهج البحث:

يعتمد البحث المنهج البنيوي السردي في تحليل المفارقات الزمنيّة، وفق تصوّرات جيرار جينيت. والمنهج التحليلي في تفسير مفارقات الزمن وأثرها في تشكّل الدلالة.

حدود البحث:

يقتصر البحث على دراسة مفارقات الترتيب الزمني وتحليلها، واقتصر التركيز على رواية في بلد الرجال للكاتب الليبي هشام مطر.

الدراسات السابقة:

لم تقع بين يدنا حتى الآن دراسة موسعة أو أكاديمية تهتمّ برواية في بلد الرجال لهشام مطر أو بموضوع المفارقات الزمنية في رواياته. عدا بعض المقالات والمنشورات الصحفية، الورقية والإلكترونية، ورسالة ماجستير واحدة من إعداد: **سهيلة بن علية وهند شريفي، 2022م- 2023م، بعنوان** : بنية الشخصية في رواية في بلاد الرجال لـ "هشام مطر"، لكنّها لا تتطرّق لدراسة الزمن في الرواية، وإنّما ركزّت على شخصيات الرواية وتأثيرهم في سير الاحداث.

الزمن الواقعي الزمن السردي:

يميّز المنظرون بين مستويين مهمّين للزمن، هما:

Copyright © HCSJ
حقوق الطبع محفوظة
لمجلة دراسات الإنسان والمجتمع

مجلة دراسات الانسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
www.stcrs.com.ly
العدد 26 يوليو 2025
Volume 26 July 2025
مجلة دراسات الإنسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
HCSJ
تم الاستلام في : 2025/11/10 تم القبول في: 2025/11/25 تم النشر في : 2025/11/26
www.doi.org/10.62341/HCSJ

- **الزمن الواقعي:** هو زمن وقوع الأحداث المرويّة، أي أنّه الزمن المسجّل في سلسلة من الأحداث المتعاقبة يسير من دون توقّف أو انقطاع، مستشرفاً المستقبل وغير قابل للرجوع إلى الوراء في خطّ مستقيم من الأحداث المتعاقبة. ويشكّل الزمن الواقعي مرجعيّةً للزمن السرديّ في القصّ بشكلٍ عامّ.
- **الزمن السردي:** وهو الزمن الذي يُقدّمه الراوي، الزمن الذي يخضع لأولويّة الأحداث وما يقتضيه مقام السرد ووجهة نظر الروائي؛ وبذا لا يكون بالضرورة مطابقاً لترتيب الزمن الواقعي. لكلّ زمن منهما سمات خاصّة، وآليّة جريان مختلفة، كما أنّ "لكل زمن نظامه الخاصّ، وما يحدث من تفاوت بينهما يولّد مفارقات زمنية (محمد بو عزة 2010).

إنّ العلاقة بين الزمن الواقعي (الأحداث كما يُفترض أنّها حصلتْ في الواقع) وزمن السرد (الأحداث كما يُقدّمها الراوي) من حيث الترتيب هي علاقة متداخلة وأحياناً متناقضة، فقد يسبق زمن السرد الزمن الواقعي، أو يلحقُه، أو يُزامنه، أو يتداخل الواحد منهما مع الآخر؛ وهذا التداخل أو التقاطع بين الأزمنة يخلق لدى المُتلقي حالة من التوتر الإدراكي، ويُجبره السرد على إعادة تركيب الأحداث، وفهم معانيها عبر منظور الذاكرة لا عبر التسلسل الزمني المنطقي. وكلّ هذه العمليات تجري على وفق قوانين جديدة تُلائم بيم ما يجري في الخارج (الزمن الواقعي)، وما يجري في الذهن (الزمن السردي)؛ وبهذا يكون المُتلقي شريكاً فعّالاً في بناء النصّ لا مُتلقّياً سلبيّاً.

المفارقة الزمنية:

تحدثُ المفارقة الزمنيّة عندما يُخالف زمن السرد ترتيب الزمن الواقعي للقصة، سواء بتقديم حدثٍ على آخر، أو استرجاع الراوي حدثًا وقع في الماضي لحظة الحاضر (تقنية الاسترجاع)، أو استباق السرد لحدثٍ سيحدث قبل وقوعه (تقنية الاستباق).

فإذا افترضنا أحداثًا في قصة ما تُروى من البداية إلى النهاية وفق الترتيب الطبيعي:

حدث 1 ⟵ حدث 2 ⟵ حدث 3

فإنّ زمن السرد قد يأتي على الترتيب التالي:

Copyright © HCSJ
حقوق الطبع محفوظة
لمجلة دراسات الإنسان والمجتمع

مجلة دراسات الانسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
www.stcrs.com.ly
العدد 26 يوليو 2025
Volume 26 July 2025
مجلة دراسات الإنسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
HCSJ
تم الاستلام في : 2025/11/10 تم القبول في: 2025/11/25 تم النشر في : 2025/11/26
www.doi.org/10.62341/HCSJ

حدث 1 ⟵ حدث 2 ⟵ حدث 3

أو على الترتيب التالي:

حدث 2 ⟵ حدث 3 ⟵ حدث 1

أو على الترتيب التالي:

حدث 3 ⟵ حدث 1 ⟵ حدث 2 (محمد بو عزة 2010).

كلّ الطرائق الثلاثة الأخيرة تُعدّ إخلالاً بالترتيب الخطّي والمنطقي للأحداث، وهي من أبرز الاستراتيجيات الفنيّة لتشويق المُتلقي، فضلاً عن كونها آليّة بنائيّة تُسهم في تشكيل النظام الداخلي للنصّ وإنتاج معناه.

فالمفارقة الزمنية إذن انحراف عن الترتيب الزمني التقليدي للأحداث (البداية – الوسط – النهاية)، بحيث تُروى الأحداث بترتيب مختلف، ينشأ عن ذلك المفارقات الزمنية، ويمكن توضيحها بخطاطة (جان ريكاردو) التالية : (حميد لحمداني1991):

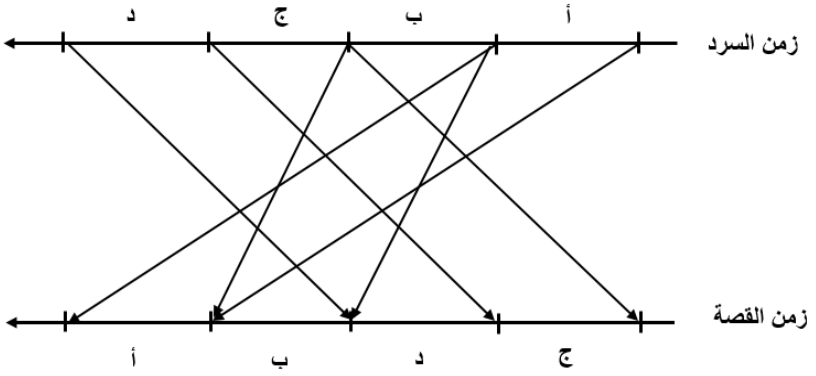

تتيح إمكانية التصرّف في الزمن للكاتب أن يسير بالقصّة بصورة تشبه المألوف في الزمن الواقعيّ –وهذه السمة الغالبة في القصّ القديم، أو أن يتصرّف في الزمن بصور مغايرة، إذ إنّ "استجابة الرواية لهذا التتابع الطبيعيّ في عرض الأحداث حالة افتراضية أكثر ممّا هي واقعية، لأنّ تلك المتواليات قد تبتعد كثيراً أو قليلاً عن المجرى الخطيّ للسرد فهي تعود لتسترجع أحداثاً تكون قد حصلت في الماضي أو على العكس من ذلك تقفز إلى الأمام

Copyright © HCSJ
حقوق الطبع محفوظة
لمجلة دراسات الإنسان والمجتمع

مجلة دراسات الإنسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
HCSJ
www.stcrs.com.ly
العدد 26 يوليو 2025
Volume 26 July 2025
مجلة دراسات الانسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
تم الاستلام في : 2025/11/10 تم القبول في: 2025/11/25 تم النشر في : 2025/11/26
www.doi.org/10.62341/HCSJ

لتستشرف ما هو آتٍ أو متوقع من الأحداث" (حسن بحراوي 1990) وفي كلا الحالتين تحصل المفارقة الزمنية.

أولاً – الاسترجاع:

تقنية الاسترجاع هي ترك لحاضر السرد وعودة إلى ماضي الأحداث وروايتها، ويُعدّ مخالفة لسير السرد، فهو يقوم على استرجاع الراوي أو الشخصية لحدثٍ ما وقع في الماضي.

ويعرفه جيرالد برنس أنّه "مفارقة زمنية باتجاه الماضي انطلاقاً من لحظة الحاضر، وهو استدعاء حدث أو أكثر وقع قبل لحظة الحاضر، أو اللحظة التي تنقطع عندها سلسلة الأحداث المتتابعة زمنيا لكي تخلي مكانًا للاسترجاع" (جيرالد برنس 2003).

وهو عند آمنة يوسف "أن يتوقّف الراوي عن متابعة الأحداث الواقعة والشخصيات الواقعة قبل أو بعد بداية الرواية" (آمنة يوسف 2015) .

ويُعرّف الاسترجاع أيضاً أنّه تداعي الأحداث الماضية التي سبق حدوثها نقطة السرد واسترجعها الراوي أو أحد الشخصيات في الزمن الحاضر (نقطة الصفر) وفي اللحظة الآنيّة للسرد (مراد عبد الرحمن المبروك 1998).

وظائف تقنية الاسترجاع:

تُوظَّف تقنية الاسترجاع لتحقّق التماسك والترابط بين بنى النصّ الروائيّ، فضلاً عن الوظيفة الفنيّة والجمالية للنصّ، كما أنّها تُحقّق عددًا من المقاصد مثل إعطاء معلومات حول سوابق شخصية جديدة دخلت عالم القصة أو اطلاعنا على حاضر شخصية اختفت عن مسرح الأحداث ثمّ عادت للظهور من جديد (حسن بحراوي 1990).

جاء في الرواية:

"**قبل أن يأخذوا أستاذ رشيد بيومين، ذهبت معه هو وطلبته وكريم في رحلة ليومٍ واحد إلى لبدة. أحسستُ بوترٍ في قلبي ينقطع حين نظرتُ ورائي إلى ماما وهي تلوّح مودعةً. فبابا لم يكن في البيت. كنتُ متوتّرًا في بداية الرحلة، ولكن بعدها بدأ الباص بكامله في الغناء والتصفيق. كان طلّاب أستاذ رشيد فرحين إلى حدٍّ عجيب؛ كنتُ وأنا أشاهدهم أتحرّقُ للالتحاق بالجامعة**" (هشام مطر 2003)

Copyright © HCSJ
حقوق الطبع محفوظة
لمجلة دراسات الإنسان والمجتمع

مجلة دراسات الإنسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
HCSJ
www.stcrs.com.ly
العدد 26 يوليو 2025
Volume 26 July 2025
مجلة دراسات الانسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
تم الاستلام في : 2025/11/10 تم القبول في: 2025/11/25 تم النشر في : 2025/11/26
www.doi.org/10.62341/HCSJ

يسترجع الراوي (سُليمان) أحداثاً من الماضي في الزمن الحاضر، لرحلة نظّمها الأستاذ الجامعيّ (رشيد) لطلبته واصطحب معه ابنه (كريم) وجارهم الطفل (سُليمان)، يُظهر فيها الراوي إحساسه بالمسؤولية تجاه والدته، وبتأنيب الضمير لحظة تركه لها بمفردها، ووالده في رحلة عمل خارج البلاد، ولكن سرعان ما تحوّل شعوره إلى فرح وأنس وبهجة خلال باقي الرحلة.

أنواع الاسترجاع:

يقسّم جيرار (جينيت) الاسترجاع على ثلاثة أقسام:

الاسترجاع الخارجي، والاسترجاع الداخلي، والاسترجاع المزجي (المختلط).

1- **الاسترجاع الخارجي:**

يمثّل الاسترجاع الخارجي استعادة لأحداث "تعود إلى ما قبل بداية الحكي" (لطيف زيتوني 2002)، فالنقطة الزمنيّة التي يعود إليها السرد هي نقطة سابقة لزمن بدء الرواية، أو الحكاية الأولى كما يُسمّيها (جيرار جينيت)، الذي عرّف الاسترجاع الخارجي بقوله: "ذلك الاسترجاع الذي تظل سعته كلها خارج الحكاية الأولى" (جيرار جينيت 1997)، والسعة هي المدة الزمنية التي تغطّيها المفارقة من زمن القصة.

وظّف (هشام مطر) تقنية الاسترجاع الخارجي كثيرًا في الرواية فجاء فيها:

"حين سمعتْ ماما أنّ أباها عثر لها على عريس، ابتلعتْ "حفنة من الأقراص السحرية" قالتْ: هكذا كانوا يسمونها، لأنها تجعل المرأة غير ذات نفع. فمن الذي سيرغب في البقاء زوجًا لامرأة لا يمكنها إنجاب الأطفال؟ قلتُ لنفسي: كلها شهور معدودة، أو سنة على الأكثر، وأكون حرة فأرجع إلى المدرسة. كانت خطة مُحكمة، أو هكذا حسبت" (هشام مطر 2003) .

يعود الاسترجاع في المقطع السابق إلى نقطة زمنية سابقة لزمن بداية الرواية (الحكاية الأولى)، فالأحداث التي يتحدّث عنها المقطع السابق حصلتْ مع والدة سُليمان (الراوي) عندما أُكرِهتْ على الزواج من (فرج الديواني) والد سُليمان، وهي لا تزال بعمر الرابعة عشر. وهذه أحداث من الماضي البعيد بالنسبة لزمن الحكاية الأولى.

Copyright © HCSJ
حقوق الطبع محفوظة
لمجلة دراسات الإنسان والمجتمع

مجلة دراسات الانسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
www.stcrs.com.ly
العدد 26 يوليو 2025
Volume 26 July 2025
مجلة دراسات الإنسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
HCSJ
تم الاستلام في : 2025/11/10 تم القبول في: 2025/11/25 تم النشر في : 2025/11/26
www.doi.org/10.62341/HCSJ

ومن مثل هذا النوع أيضًا تحكي والدة سُليمان عن قصة زواجها وطريقته، وهي أحداث حصلتْ قبل زمن بدء الرواية بفترة طويلة:

"أتموا الزفاف على عجل كما لو كانوا يزوّجون ساقطة، كما لو كنتُ حبلى لا بد من التخلص منها بزيجة قبل انكشاف المستور. وجزء من العقاب أنهم لم يسمحوا لي حتى أن أرى صورة لزوج المستقبل. لكن الخادمة تسللت إليّ لتخبرني بأنها رأت العريس. قالت مقطبة الجبين "قبيح، وكبير الأنف". ثم بصقتْ على الأرض. كنتُ مرعوبة، وهرعتُ إلى الحمام عشر مرات أو أكثر. كان أبي وأشقائي، أعضاء المجلس الأعلى، يجلسون أما الغرفة مباشرةً، فراح توترهم يزداد، وقد اعتبروا متاعب معدتي دليلاً على جريمتي" (هشام مطر 2003) .

في هذا المقطع السردي يسترجع الراوي أحداثًا وقعت قبل الحكاية الأولى للرواية، تتمثّل في يوم الزواج الذي تسمّيه (نجوى) والدة سُليمان باليوم بـ "اليوم الأسود"، وحالها ذلك اليوم بعد ابتلاعها لكميّة من الحبوب، ووقوف والدها وإخوتها أمام غرفتها وهم في غاية التوتّر والترقّب، وهذا استرجاع خارجي لأنّه يعود لنقطة زمنية تجاوزت زمن الحكاية الأولى، ونجد أنّ هذه العودة الزمنية بعيدة عن زمن الحكاية الأولى، وهو ما يُطلق عليه الاسترجاع بعيد المدى.

ومن أمثلة الاسترجاعات الخارجية في الرواية أيضًا هذا المقطع من الرواية:

"كان شقيق ماما خالد قد سافر إلى أمريكا ليدرس في الجامعة، وافتقده الجميع. وحين وُلدتُ طلبوا منه أن يختار لي اسماً، فقال لهم: "سُليمان، على اسم السُّلطان سُليمان القانوني". ثم عاد فيما بعد هو ومعه زوجة أمريكية لم تستسغ مذاق مائنا. كان اسمها كاثي، ولها رائحة مختلفة عن رائحة أي شخص آخر في بلدنا، مزيج من الأوكاليبتوس والعشب الأخضر. كانت تُحضرُ معها كتاباً كلما اجتمعت العائلة. لم تكن تنضم إلى النساء في المطبخ، بل تجلس بمفردها وتقرأ" (هشام مطر 2003).

يعود الراوي في المقطع السابق لنقطة زمنية سابقة للنقطة الزمنية التي بدأت بها الرواية، وهي عودة بعيدة عن الزمن الحاضر للرواية، قبل ميلاد الراوي (سُليمان)، ثمّ بعد

Copyright © HCSJ
حقوق الطبع محفوظة
لمجلة دراسات الإنسان والمجتمع

مجلة دراسات الإنسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
HCSJ
www.stcrs.com.ly
العدد 26 يوليو 2025
Volume 26 July 2025
مجلة دراسات الانسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
تم الاستلام في : 2025/11/10 تم القبول في: 2025/11/25 تم النشر في : 2025/11/26
www.doi.org/10.62341/HCSJ

ذلك قفز الراوي لنقطة زمنية أخرى، وهي عودة خاله (خالد) من أمريكا رفقة زوجته الأمريكية (كاثي)، وهي نقطة زمنية تالية لزمن ميلاد الراوي ولكنّها لا تزال داخل دائرة الاسترجاع الخارجي، فهي لا تزال سابقة لزمن بدء الرواية.

2- الاسترجاع الداخلي:

على عكس الاسترجاع الخارجي فإنّ الاسترجاع الداخلي "يستعيد أحداثاً وقعت ضمن زمن الحكاية، أي بعد بدايتها. وهو الصيغة المضادة للاسترجاع الخارجي" (لطيف زيتوني 2002) .

فالأحداث التي يعود الراوي لاسترجاعها هي أحداث لاحقة لزمن بداية الرواية، ومن خلال استراتيجية الاسترجاع الداخلي "يُعالج الكاتب الأحداث المتزامنة، حيث يستلزم تتابع النص أن يترك الشخصية الأولى ويعود إلى الوراء ليصاحب الشخصية الثانية" (سيزا قاسم 2000).

والاسترجاعات الداخلية نوعان بحسب (جينيت)، فقد تكون "غيرية القصة: أي الاسترجاعات التي تتناول مضموناً قصصيّاً مختلفاً عن مضمون الحكاية الأولى، أو مثلية القصة: أي تلك التي تتناول خط العمل نفسه الذي تتناوله الحكاية الأولى" (جيرار جينيت 1997).

أ- الاسترجاع غيري القصة (الخارج حكائي):

هو نوع من الاسترجاعات الداخلية "يحتوي مضموناً حكائيّاً، يختلف عن مضمون المحكي الأول" (مرشد أحمد 2005) .

ويلجأ إليه الراوي غالباً عند إقحامه شخصيةً جديدة للسرد الروائي، ويريد إضاءة سوابقها، أو لتقديم شخصية غابت لفترة عن حاضر السرد ويكشف نشاطاتها.

في رواية (في بلد الرجال) لجأ (هشام مطر) لاستخدام هذه القنية مراراً فجاء في الرواية:

"كان القاضي صديق بابا ومحاميه. وكانا قد التقيا بعد أن اشترى بابا شحنة من خشب البلوط "بحُسن النية" ثم لم تصل إليه أبداً. ومن بين جميع الرجال في حلقة الدومينو المحيطة بالقاضي، كان بابا هو الأصغر سنًّا والوحيد الذي لم يكن قاضياً. كانوا يجتمعون

Copyright © HCSJ
حقوق الطبع محفوظة
لمجلة دراسات الإنسان والمجتمع

مجلة دراسات الإنسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
HCSJ
www.stcrs.com.ly
العدد 26 يوليو 2025
Volume 26 July 2025
مجلة دراسات الانسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
تم الاستلام في : 2025/11/10 تم القبول في: 2025/11/25 تم النشر في : 2025/11/26
www.doi.org/10.62341/HCSJ

أصيل كل خميس، بالضبط حين تبدأ تحنُّ أشعة الشمس، ليلعبوا الدومينو ويستمتعوا بمنظر البحر من شرفة القاضي ياسين في الطابق الثاني. كان القاضي يعيش مع أسرته، بمن فيهم موسى، في قرقارش كذلك، لكن بالطبع لم يكن القاضي يدعوها قرقارش، كان يدعوها باسمها الآخر، الاسم الفخم، الذي يجعلك تظن أنها منطقة تقع في إيطاليا وليس في طرابلس: جورجي بوبيولي" (هشام مطر 2003).

يعود الراوي في هذا الاسترجاع داخلي لشخصية القاضي المصري (ياسين) الذي كان صديق الأسرة ومحاميها، ووالد (موسى) الذي كان يشتغل مع والد سُليمان، ويحكي الراوي تفاصيل اللقاء الأسبوعي لوالده مع بعض أصدقائه عند القاضي ياسين.

"حين عاد خالي خالد من أمريكا ووجد أن قصائده ومسرحية وليمة النمل قد التهمتها دجاجات العائلة ضحك، ثم ضحك أكثر، ثم ضحك من جديد حتى أخذته ضحكاته إلى آخر المنزل نحو طرف الحديقة، حيث جلس هناك طويلاً وحده دون أن يضحك. وطوال الصيف رفض أن يأكل بيضة واحدة مما باضته تلك الدجاجات.

كانت جدتي تغيظه قائلة: "إنّه بيض غنيٌّ بالشِّعْر"، فكان يبتسم دون أن يأكل" (هشام مطر 2003) .

وهنا استرجاع داخليّ يحكي قصّة طريفة، حصلتْ لمجموعة من القصائد كان قد كتبها (خالد) خال (سُليمان) ومسرحية بعنوان "وليمة النمل"، وقد تركها في منزلهم خلال فترة دراسته في أمريكا، وبسبب إهمال الأهل؛ تمكّنتْ بعض من الدجاجات من التهام هذه القصائد والمسرحية.

نلحظ أنّ الاسترجاع الداخليّ السابق، لا يمتُّ بصلات لمضمون الحكاية الأولى، ويبتعد عن مسار أحداثها، كما أنّه لا يخدم أحداث الرواية الأساسية، وإنّما يُشكّل مفارقة زمنيّة تحمل قيمةً فنيةً وجماليةً.

Copyright © HCSJ
حقوق الطبع محفوظة
لمجلة دراسات الإنسان والمجتمع

مجلة دراسات الإنسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
HCSJ
www.stcrs.com.ly
العدد 26 يوليو 2025
Volume 26 July 2025
مجلة دراسات الانسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
تم الاستلام في : 2025/11/10 تم القبول في: 2025/11/25 تم النشر في : 2025/11/26
www.doi.org/10.62341/HCSJ

ب- **الاسترجاع مثلي القصة (الداخل حكائي):**

هو الذي يُجانس موضوعه موضوع الحكاية، أيّ يتناول خط الزمن نفسه الذي تتناوله الحكاية الأولى، كأن يتناول حدثاً ماضياً في حياة شخصية وفاعلاً في سلوكها الحاضر، أو حدثًا ماضيًا يؤثر في الحدث الرئيس. (لطيف زيتوني 2002) . وله نوعان:

- **الاسترجاع الداخلي التكميلي:**

"هو الذي يسدُّ نقصاً حاصلاً في السرد، إنّه تعويض عن حذف سابق، فيكون السرد فيه متقطعًا، منتقلاً بين الحاضر والماضي" (لطيف زيتوني 2002)، ويطلق عليها أيضًا الإحالات، وتأتي لتسدّ فجوات خلّفها السرد. من هذا النوع ما جاء في الرواية:

"وعندئذٍ ومرةً بعد أخرى أخذا يحملان جبالاً من الكتب والأوراق. فتح لها باب الحديقة، وخرجت هي بسرعة. وقبل أن يتمكن من أن يتبعها سقطَ كتاب. أوشكتُ أن ألتقطه له لكنني ترددت. نظرَ إليّ. رأيت ظلاً من الخذلان يمر بعينيه. أتساءل الآن بأي طريقةٍ قد خذلتُه: هل لأنني لم ألتقط الكتاب؟... مزق بضع قطع من الورق، ثم أشعل عود كبريت ورماه عليها. صعد دخانٌ قاتم..." (هشام مطر 2003)

يُمثِّل المقطع السابق الاسترجاع الداخلي التكميلي، فهو يسترجع أحداثاً مكمّلة لموضوع الرواية الأساسيّ، وتخدم فهم مضمونها، يوضّح المقطع للمُتلقي واقعة حرق كتب والد سُليمان خوفًا من تفتيش اللجان الثورية لمنزل العائلة، ودفن رمادها في حديقة المنزل، ليأتي بعد ذلك فعلا بضع أفراد اللجان الثورية ولا يجدوا ما يُدين والد سُليمان من كتب، أو منشورات، أو رسائل، أو غيرهم.

(هشام مطر) في روايته (في بلد الرجال) لا يتعامل مع الزمن بوصفه مجرّد إطار للأحداث، يل يجعله فضاءٍ دلاليًا يعكس اضطرابات الذاكرة الفردية الجماعية في ظلّ ممارسات القمع والترهيب في حق بعض المواطنين ممّن لديهم رؤىً مختلفة.

يجد (مطر) في توظيف المفارقات الزمنية المختلفة وسيلةً تعكس الوعي داخل الذات الليبية الجريحة.

Copyright © HCSJ
حقوق الطبع محفوظة
لمجلة دراسات الإنسان والمجتمع

مجلة دراسات الانسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
www.stcrs.com.ly
العدد 26 يوليو 2025
Volume 26 July 2025
مجلة دراسات الإنسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
HCSJ
تم الاستلام في : 2025/11/10 تم القبول في: 2025/11/25 تم النشر في : 2025/11/26
www.doi.org/10.62341/HCSJ

ويسترجع الراوي (سُليمان) حدثاً في الماضي القريب، وهو جالسٌ مع والدته في المطعم الإيطالي (سنيور كلزوني)، وقد ضاق ذرعاً بالسرّ الذي يكتُمه، بعد أن أجبرته والدته ليقطع لها وعودًا مراراً وتكراراً حتى لا يُفشي سرّها، تقول الرواية:

"كان ما حكته لي يضغط على صدري، ثقيلاً شديد الثقل، حتى بدا لي أنني لا يمكن أن أعيش دون أن أُفشيه. لم أرد أن أخون عهدي لها- ذلك العهد الذي دائمًا ما كانت ترغمني أن أقطعه لها، حتى إنها أرغمتني عليه أكثر من ثلاثين مرة في إحدى الليالي، عهدي بألا أشي بها، وأن أحلف بحياتها على ذلك، مرات ومرات، وبعد ذلك كله تحذرني "لو حكيت لإنسان واحد فمتُّ أنا من جراء ذلك، سيكون دمي في رقبتك"- فحاولتُ أن أحكي لها هي" (هشام مطر 2003) .

يُبرز المقطع السابق حالة الاضطراب والتشتّت الطفولي التي يعيشها (سُليمان)، وذلك الصراع الداخلي الذي يعيشه جرّاء ما يخفيه في صدره، فالأسرار الثقيلة التي تحكيها الأم (نجوى) لطفلها تعدّ عبئًا يكاد أن يهلكه. ونجح (مطر) في نقل تجربة الخوف والقلق والتشتّت من وعي الطفل إلى وعي القارئ؛ فيُصبح الأخير جزءًا من التجربة الوجدانية للنص الروائي.

- **الاسترجاع الداخلي التكراري:**

هو إشارات وإحالات القصة إلى ماضيها، وهي بمثابة تلميحات من الحكي إلى الماضي، فقد يعود الراوي عودات لماضي القصة قصد التذكير، ويأخذ هذا التذكير أشكالاً منها: المقارنات بين الماضي والحاضر، أو معارضة لموقف أو مواقف، أو النقد الذاتي الذي يُكسب الحدث الماضي معنىً لم له من قبل. (لطيف زيتوني 2002)

يتفرّد (هشام مطر) في توظيف تقنيات المفارقة المتنوّعة في ثنايا روايته، فيتجلّى هذا النوع من الاسترجاعات في مواضع عدّة من الرواية، منها مثلاً عندما أُرسل (سُليمان) للعيش في القاهرة وتكفّل القاضي (ياسين) بمتابعته وتولي شؤونه، يسترجع (سُليمان) والقاضي (ياسين) ذكريات لهم في طرابلس:

Copyright © HCSJ
حقوق الطبع محفوظة
لمجلة دراسات الإنسان والمجتمع

مجلة دراسات الإنسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
HCSJ
www.stcrs.com.ly
العدد 26 يوليو 2025
Volume 26 July 2025
مجلة دراسات الانسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
تم الاستلام في : 2025/11/10 تم القبول في: 2025/11/25 تم النشر في : 2025/11/26
www.doi.org/10.62341/HCSJ

"هؤلاء القضاة المصريون العجائز ذوو الشفاه الرطيبة الذين كانوا يلتقون في شرفته في طرابلس، قبل كل تلك السنوات، بالقرب من بيتنا، في لبحي الذي أحب أن يطلق عليه حضرة القاضي جورجي بوبيولي" (هشام مطر 2003) .

إنّ الزمن السرديّ ليس خطًّا متصلاً، بل بنية زمنيّة متكررة، تتجدّد فيها لحظات جوهريّة، كأنّ الماضي يرفض الانتهاء، كثيرًا ما يُكرّر الراوي (سُليمان) موقف القبض على جارهم الأستاذ (رشيد)، كأنّها لحظات تتجدّد لتُعبّر عن القمع والمعاناة في مواجهة السلطة، أو الاغتراب الفكري، جاء في الرواية:

"توقفت لسيارة أمام منزل كريم. تجمّد كريم كما لو كان قلبه سقط في قدميه. خرج من السيارة أربعة رجال، وتركوا أبوابها مفتوحة، كانت السيارة مثل عثة عملاقة ميتة في الشمس. ركض ثلاثة من الرجال إلى داخل لمنزل، أمّا الرابع الذي كان يقود السيارة وبدا أنه رئيسهم، فقد انتظر على الرصيف..."[1] (هشام مطر 2003)

يُجسّد هذا المقطع الطريقة التي أُعتقِل بها الأستاذ (رشيد) أمام زوجته وابنه (كريم)، وكيفيّة ضربه في سياق سرديّ قاسٍ.

3- الاسترجاع المزجي (المختلط):

فيه تُمتزج الاسترجاعات الخارجية بالاسترجاعات الداخلية، وهو يقوم على استرجاع خارجي يمتدُّ حتى ينضمّ إلى المحكي الأول ويتعداه، (جيرار جينيت 1997) "هو ذاك الذي يسترجع حدثاً بدأ قبل بداية الحكاية واستمر ليُصبح جزءًا منها. فيكون جزء منه خارجيّاً والجزء الباقي داخليّاً" (لطيف زيتوني 2002)

يسترجع الراوي في المقطع الآتي أحداث لمجيئ (موسى) إلى منزلهم ويصف أحواله المتوترة واضطرابه الشديد، ثمّ تداخل الزمن الحاضر ليروي كيف تمّت محاكمة (رشيد)، على الهواء مباشرة في التلفزيون، تقول الرواية: **"كان في حالة اضطراب شديد وبدا غير قادر على الاستقرار في مكان واحد. "طرابلس مقلوبة رأساً على عقب. أخذوا الجميع، يجمعونهم مثل الخراف". "أين فرج؟"**

Copyright © HCSJ
حقوق الطبع محفوظة
لمجلة دراسات الإنسان والمجتمع

مجلة دراسات الانسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
www.stcrs.com.ly
العدد 26 يوليو 2025
Volume 26 July 2025
مجلة دراسات الإنسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
HCSJ
تم الاستلام في : 2025/11/10 تم القبول في: 2025/11/25 تم النشر في : 2025/11/26
www.doi.org/10.62341/HCSJ

" لا أدري. افتحي التلفزيون. رشيد، سيحاكمون رشيد، سيحاكمونه ؟ أقصد.. أن ... أولاد الحرام"..." (هشام مطر 2003)

ثانياً– الاستباق:

يُشكِّل الاستباق إلى جانب الاسترجاع استراتيجية زمنية بتوظيفها يُفارق السرد مرجعيّته القصصية، ويتفكّك التسلسل الزمني، وتتكسّر فيها رتابة السرد الروائي. يُطلق على هذه الوظيفة مصطلحات أهمّها (الاستباق، الاستشراف، التنبّؤ، التوقّع...)، وتُعدّ مخالفة لسير زمن السرد تعمل على تجاوز حاضر القصة وذكر حدث لم يحنْ وقته بعد. (لطيف زيتوني 2002) .

والاستباق "تصوير مستقبلي لحدثٍ سردي سيأتي مفصّلاً فيما بعد، إذ يقوم الراوي باستباق الحدث الرئيسي في السرد بأحداث أوليّة تمهّد للآتي وتومئ للقارئ بالتنبؤ واستشراف ما يمكن حدوثه أو يشير الراوي بإشارة زمنية أولية تعلن صراحة عن حدث ما سوف يقع في السرد" (مها حسن قصراوي 2004)، ويسمح الاستباق للراوي بـ "القفز على فترة ما من زمن القصة وتجاوز النقطة التي وصلها الخطاب لاستشراف مستقبل الأحداث والتطلع إلى ما سيحصل من مستجدات في الرواية" (حسن بحراوي 1990)

من خلال توظيف هذه التقنية يقفز السرد ويتقدّم الراوي نحو المستقبل قبل حدوثه؛ ليُطلع المُتلقي على ما سيحصُل من مستجدات في أحداث الرواية، فينتُج عن ذلك نوع من التقاطعات بين الأزمنة تُسهم في ربط الأحداث وبناء عالم الرواية الكليّ، فضلاً على إسهامها في تهيئة المُتلقي على تقبّل ما سيأتي من الأحداث.

يستخدم (هشام مطر) في روايته (في بلد الرجال) تقنية الاستباق، ولكنّ استخدامه لها في حدود ضيقة إذا ما قورنت باستخدام تقنية الاسترجاع.

أنواع الاستباق: الاستباق نوعان هما: التمهيد والإعلان.

1– الاستباق التمهيديّ:

يُمهِّد هذا النوع من الاستباق لأحداث سيتمّ تقديمها لاحقًا مع تقدّم خطّ السرد، حيث يقوم الراوي بتوقعات واحتمالات لما هو آتٍ من أحداث وليس من الضروريّ أن تتحقّق الأحداث

Copyright © HCSJ
حقوق الطبع محفوظة
لمجلة دراسات الإنسان والمجتمع

مجلة دراسات الانسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
www.stcrs.com.ly
العدد 26 يوليو 2025
Volume 26 July 2025
مجلة دراسات الإنسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
HCSJ
تم الاستلام في : 2025/11/10 تم القبول في: 2025/11/25 تم النشر في : 2025/11/26
www.doi.org/10.62341/HCSJ

المُمهّد لها في الاستباق، فقد تحصل هذه التوقّعات وقد لا تحصل، وقد يقع جزء منها ولا يقع الجزء الآخر، فمن الاستباقات التي حصلتْ بالفعل في رواية (في بلد الرجال)، توقّع (سُليمان) أن يدخل أحد رجال اللجان الثورية وهو في حالة خوفٍ وذعرٍ: **"كانت عيناي مثبتتين على مدخل غرفة الجلوس، متوقعًا أن يظهر جسده هناك في أي لحظة. ثم ظهر، الرجل الذي كان في السيارة.. وقف بمدخل الغرفة، سادًّا المنفذ الوحيد فيها"** (هشام مطر 2003) .

ومن المقاطع الاستباقية من هذا النوع أيضًا ما جاء على لسان (موسى)، عندما استورد إطارات سيارات من بولندا كمشروع تجاريّ، تقول الرواية:

"تذكروا كلامي، فكما تشتهر الآن الصين بالحرير، واليابان بأجهزة التليفزيون، ونيوزلندا بالأغنام، فسوف تشتهر بولندا أيضًا بإطارات السيارات. سوف ترون، ستكون هذه أنجح صفقة استيراد تجري في ليبيا منذ استيراد جرارات JCB" (هشام مطر 2003) .

ومن ذات النوع نجد مقطعاً للطفل (سُليمان) يقفز إلى المستقبل ليرى نفسه إلى جوار والده في رحلة عمل، يركب معه طائرة سفر في رحلة عمل، تقول الرواية:

"ذات يوم سيأخذني بابا معه في رحلة عمل، كنتُ متأكدًا من هذا. سأرتدي بدلة ورباط عنق وأسير إلى جواره كأنني ظله، ذراعه اليمنى..." (هشام مطر 2003)

2- الاستباق كإعلان:

يحدث هذا النوع عندما "يعلن سلسلة من الأحداث التي سيشهدها السرد في وقتٍ لاحقٍ" (حسن بحراوي 1990)، فهو يحدث عندما يُخبر الكاتب صراحة عن أحداث لاحقة في السرد، ويكون الإخبار صراحةً "لأنّه إذا أخبر عن ذلك بطريقة ضمنية يتحوّل توا إلى استشراف تمهيديّ أيّ إلى مجرد إشارات لا معنى لها في حينها ونقطة انتظار مجرّدة من كل التزام تجاه القارئ" (حسن بحراوي 1990).

وعلى المستوى التطبيقي نجد هذا النوع من الاستباق حاضراً في رواية (في بلد الرجال)، تقول الرواية:

Copyright © HCSJ
حقوق الطبع محفوظة
لمجلة دراسات الإنسان والمجتمع

مجلة دراسات الانسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
www.stcrs.com.ly
العدد 26 يوليو 2025
Volume 26 July 2025
مجلة دراسات الإنسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal
HCSJ
تم الاستلام في : 2025/11/10 تم القبول في: 2025/11/25 تم النشر في : 2025/11/26
www.doi.org/10.62341/HCSJ

"حينها عرفتُ أنني لن أرى أبي مرةً أخرى، وأنه سيموت بينما أنا مزروعٌ وحدي في بلدٍ غريب لأنمو وأزدهر بعيدًا عن الجنون". (هشام مطر 2003) .

في الشواهد السابقة وغيرها كثير في الرواية، ينطلق السرد من الحاضر الروائي إلى المستقبل؛ وبهذا تتحقّق قيمًا جمالية تبعثُ القارئ على التشويق، وانتظار ما سيأتي من صدق التنبّؤ، فالقارئ وهو يُتابع السرد يكون متعلِّقًا بزمن لم يتحقّق بعد، ويصبح في حالة انتظار وقلق قرائي إلى أن يقف على النتيجة بنفسه.

الخاتمة:

نتائج البحث:

1. إنّ هشام مطر في روايته (في بلد الرجال) لا يستخدم الزمن بوصفه خلفية لأحداث الرواية وإطارًا لها، بل جعله محوراً للسرد، يكشف عن تفكّك الذات واضطراب الهوية في الواقع الليبيّ في زمن القمع وتحت وطأة الخوف.
2. اعتمدت الرواية على التشابك الزمنيّ ممّا جعل المفارقة الزمنية محورًا بنائيًّا، لا يمكن فصله عن النسيج الكليّ للرواية، وعمد هشام مطر على تفتيت زمن الرواية إلى مقاطع متداخلة، تربطها ذاكرة الراوي، أكثر ممّا يربطها تسلسل الأحداث الطبيعيّ.
3. إنّ اضطراب الترتيب الزمنيّ وتداخله والتلاعب به، استراتيجيات فنيّة وظّفها هشام مطر لإثراء المعاني وإشراك المتلقي في بناء النص.

توصيات البحث:

1- يُوصي البحث بإجراء دراسات موسّعة في أدب هشام مطر وبخاصّة سرد الطفولة الذي اعتمده الروائي وتفرّد فيه.

2- يشجّع البحث على تحليل الزمن في سياقاته التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

3- الاهتمام بدمج البعد الزمني بالبعد النفسي في بحوث قادمة لارتباط بنية الزمن بالوعي القلِق للراوي.

Copyright © HCSJ
حقوق الطبع محفوظة
لمجلة دراسات الإنسان والمجتمع

تم الاستلام في : 2025/11/10 تم القبول في: 2025/11/25 تم النشر في : 2025/11/26
www.doi.org/10.62341/HCSJ

المصادر والمراجع:

آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية، 2015.

جيرار جينيت، خطاب الحكاية بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم وآخرين، المشروع القومي للترجمة، الطبعة الثانية، 1997.

جيرالد برنس، قاموس السرديات، ترجمة: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003.

حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1990.

حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الحديث، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى 1991.

سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، 2000.

لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2002.

محمد بو عزة، تحليل النص السردي، منشورات الاختلاف، الجزائر– الجزائر، الطبعة الأولى، 2010.

مراد عبد الرحمن المبروك، بناء الزمن في الرواية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998.

مرشد أحمد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان– الأردن، الطبعة الأولى، 2005.

مها حسن قصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، 2004.

Copyright © HCSJ
حقوق الطبع محفوظة
لمجلة دراسات الإنسان والمجتمع

تم الاستلام في : 2025/11/10 تم القبول في: 2025/11/25 تم النشر في : 2025/11/26
www.doi.org/10.62341/HCSJ

هشام مطر، في بلد الرجال، ترجمة: محمد عبد النبي، دار الشروق، القاهرة– مصر، الطبعة الثالثة، 2023.

Copyright © HCSJ
حقوق الطبع محفوظة
لمجلة دراسات الإنسان والمجتمع